لمـــاذا ترجمت فرتر

« الى الصديق الذى سألنى هذا السؤال وهو طليق الحرية فى سماء ألمانيه وهو سجين الاستعباد فى كركوك »

تسألنى لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هذا السؤال حديث ، والحديث عنه سيكون قصة ، وليس يعنيك اليوم منها إلا ما نجم عنها :

قال (جوت) يوماً لصديقه (اكيرمان) : « كل امرئ مأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) انما كتب له خاصة »

وأتانى سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحين ! شباب طرير حصره الحياء ، والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع فى دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده .... واحساس مشبوب يتوقد شعوراً بالجمال ، وقلب رغيب يتحرق ظمأ إلى الحب ، ونوازع طماحة ما تنفك تجيش ، وعواطف سيالة ماتكاد تتماسك ... ! فالطبيعة فى خيالى شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ! ... وكان فهمى لكل شىء وحكمى على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أقيسه الخيال ، وزور نتائجه المثل الأعلى . ثم غمر هذه الحال التى وصفت هوى دخيل هادىء ، ولكنه مُلِحّ ، فسحت منه فى فيض سماوى من النشوة واللذة ، وأحسست أن وجودى الخالى قد امتلأ ، وقلبى الصادى قد ارتوى ، وحسى الفائر قد سكن . وتخيلت أن حياتى الحائرة قد أخذت تسير فى طريق لا حب تنثر على مداوجه نواضر الورود ، وترف على جوانبه نوافح الريحان ، وتزهو على جوانبه الوان عبقر ، وترقص على حفافيه عرائس الحور ! .. ورحت أسلك هذا الطريق السحرى محمولاً على جناح الهوى كأنى (فوست) على جناحى (ميفستوفاليس) حتى ذكرنى الزمان الغافل فأقام فيه عقبة اصطدم عندها الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب ، والعاطفة بالمنفعة ! ! على انى بقيت على رغم الصدمة حياً ولا بد للحى أن يسير ! !

تطلعت وراء العقبة انظر الطريق فاذا الأرض قفر والورد عوسج والريحان حمض ، والعرائس وحوش .

فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرفيق المؤنس ! ... ولكن أين أنشدها أبنى وحولى من الفراغ نطاق مخيف ، وأمامى على أسنة الصخور أشلاء وجثث ! ؟ هذه أشباح صرعى الهوى تتراءى لعينى ، وهذه أرواح قتلاه تتهافت علىّ ، وهذه سجلات مصارعهم بين يدى ، فلم لا أحدو بأناشيدهم رواحلى ، وأقطع بمناجاتهم مراحلى ، وألتمس فى مراجعهم لهواى عزاء وسلوة ؟ ؟

قرأت هيلويز الجديدة ، وريبيه ، واتالا ، وأودلف ، ودوميبك ، وماريون دلورم ، ومانون ليسكو ، وذات الكيليا ، وجرازيلا ، ورفائيل ، وجان دكريف ، وتوثقت بأشخاصها صلاتى ، وتصعدت فى زفراتهم زفراتى ، وتمثلت فى نهايتهم المحزنة نهايتى . ولكنهم كانوا جميعاً غيرى ! تتفق فى الموضوع ولكن تفترق فى الوضع ، كالنساء النوادب فى مناحة ، تندب كل واحدة منهن فقيدها وموضوع الأسى للجميع واحد هو الموت ! !

فلما قرأت (آلام فرتر) سمعت نواحاً غير ذلك النواح ، ورأيت روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالاً غير تلك الحال ! !

كنت أقرأ ولا أرى فى الحادثة سواى ، وأشعر ولا أشعر إلا بهواى ، وأندب ولا أندب إلا بلواى ، فهل كنت أقرأ فى خيالى أم أنظر فى قلبى ، أم هو الصدق فى نقل الشعور والحذق فى تصوير العاطفة يظهران قلوب الناس جميعاً على لون واحد ؟ ؟

كنا يومئذ فى مايو والطبيعة تعلن عن حبها بالألوان والالحان والعطر ، ونفسى تحاول أن تعلن عن هواها بالدموع والشعر ، فآلامى تجيش فى عينى ، وعواطفى تتزى على لسانى ، وبلابل تتوثب فى خاطرى ، وكلها تطلب السبيل الى العلانية ، — والشكوى فى الحب كالطفح فى الحمى كلاهما عرض ملازم — فلما قرأت (فرتر) تنفس جواى المكظوم ، واستغنى عن البيان هواى المكتوم . لأنى لو كنت صببت مهجتى على قرطاس لما كانت غير (فرتر) ، وهل فرتر إلا قصة الشباب فى كل جيل ؟ رجل شديد الحس قوى العاطفة يتقسم الخيال « والابديال » نواحى نفسه ، ورجل آخر بارد الطبع عملى الفكر يعرف دائماً كيف يجر النار الى قرصه ، وامرأة بينهما يجذبها إلى الأول طبعها الغزلى وقلبها الشاعر ، ويربطها بالثانى عقلها المادى ووعدها المأخوذ ... هذا هو موضوع آلام

فرتر وهو عينه موضوع آلامي . . . فلم لا أنقله إذن إلى لغتي لينطق عن لساني ، كما ترجم صادقاً عن ضميري ؟؟

* * *

فنيت في (جوت) وقادني إلهامه وروحه ، وأهبتُ بلغة القرآن والوحي أن تتسع لهذه النفحات القدسية فأسعفتني ببيانها الذي يتجدد على الدهر ويزهو على طول القرون . ثم أصبح فرتر بعد ذلك لنفسي صلاة حب وتسبيد عزاء ورُقيةُ هم !! كأنما كان (جوت) يناديها من وراء الغيب حين يقول في تقدمته له لفرتر : « وأنت أيتها النفس . . . اذا أشجاك ما أشجاد من غصة الهم وحرقة الجوى فاستمدي الصبر والعزاء من آلامه . وتلمسي البرء والشفاء في أسقامه ، واتخذي هذا الكتاب صاحباً وصديقاً اذا أبى عليك دهرك أو خطوك أن تحدي من الأصدقاء من هو أقرب اليك وأحنى عليك ؟؟

ا . الزيات

فلسفة شوبنهور

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

الزمام . وأنت عاجز عن دراك السعادة بالمال والجاه . وهي على قاب قوسين منك اذا أسلست قيادك الى العقل واستطعت أن تضغط على الارادة حتى تحصرها في حيز ضئيل . ويعتقد شوبنهور أن الانجاز لا يكون في اخضاع العالم بأسره بقدر ما يكون في اخضاع الارادة . .

اذن فالفيلسوف وحده هو الذي يستطيع أن يتغلب على شقاء الحياة . لأنه صورة من المعرفة غير المقيدة بالارادة . واذا استطاع الفكر أن يتخلص من قيود الرغبة والهوى أمكنه أن يرى الأشياء على حقيقتها المجردة .

فالفلسفة هي عبارة عن النظر المجرد عن الارادة . هي انكار الذات عند النظر الى مظاهر الوجود واعتبارها حقائق في ذاتها دون أن تربطها بالحياة البشرية .

٥ — الفن

نحن اذن نشد تحرير المعرفة من استعباد الارادة . نشد انكار الشخص لنفسه عند نظره للأشياء . وليس هذا المنشود الا الفن في أصح معانيه . فالفنان العبقري يحاول أن يرى الأشياء من وجهة صفاتها العامة ولا يعبأ كثيرا بالأشياء المادية التي تمثل تلك الصفات فموضوع الفن هو تجسيد الكلي العام في جزئي من الجزئيات والصورة الفنية يجب أن تكون المثل الأعلى للشيء المصور . ومعنى ذلك أن صورة البقرة مثلا لكي تكون من آيات الفن الرفيع ، يجب أن يتجمع فيها كل مميزات هذا النوع وما يتعلق به من صفات ، كأن نوع البقرة كله قد تركز في هذه البقرة الواحدة . وصور الأشخاص يجب أن تقصد لا الى الدقة الفوتغرافية . بل الى عرض كل ما يمكن عرضه من صفات الانسان عامة في ملامح الشخص المصور . اذ الواقع أن الفنان يصور صفات . وليست الاجسام الا وسائل فقط لابراز تلك الصفات .

ولنوجز هذا في عبارة أخرى : نقول ان الصورة الفنية لشيء ما يجب أن تكون عبارة عن « المثل الافلاطوني » لذلك الشيء . وبقدر ما تقرب الصورة من ذلك المثل الخيالي تكون قيمتها الفنية .

فطربنا لجمال الطبيعة أو الشعر أو التصوير انما يصدر عن تأمل الأشياء في حقيقتها الواقعة دون أن يمتزج ذلك التأمل برجهة النظر الشخصية . فسواء لدى الفنان أن يرى غروب الشمس من قصر منيف أو من كوة في سجن مظلم .

فالفن يمحو بؤس الحياة وعللها بأن يعرض علينا صورا خالدة من وراء هذه الصور الفردية الزائلة .

٦ — الدين

واذا كانت الفلسفة وسيلة لانقاء شرور الحياة بما تستطيعه من اخضاع الشهوة لحكم العقل ، واذا كان الفن عاملا من عوامل السعادة لأنه لا يعبأ بالأشياء المادية التي تتحرك أمامنا وانما يعنى بحقائق هذه الأشياء الخالدة . فالدين طريق ثالث يؤدي الى سعادة النفس وطمأنينتها لأنه بدوره عبارة عن اخضاع الارادة لحكمة العقل . فالصيام الذي تفرضه الأديان جميعاً يقصد منه تدريب النفس على قهر ارادتها او شهوتها .

٧ — حكمة الموت

وبعد . فما أعجب أن تكون الحياة كما هي شروراً وآلاما ، ومع ذلك تتخذ لها من أنفسنا عونا على الانتشار والذيوع !! يصيح شوبنهور بأعلى صوته إن الحياة سوء وشر ويجب أن نقضي عليها قضاء مبرما . ولكن كيف ؟ الحل عنده بسيط وهو أن نهجر النساء هجرا جنسياً لأنهن أس البلاء بما يقدمن للرجال من فتنة واغراء . وهو يتساءل : الى متى تدفعنا الحياة أمامها دفع الخراف وهي لا تجوى الا شقاء وعناء ؟ متى نتجمع كل ما نملك من قوة وشجاعة لنضع في وجهها إن الحياة كذوبة وخدعة أن نجاة الانسان وخلاصه انما هو الموت ؟!

زكي نجيب محمود